

لن يسقط العماد..!

لكأني بها لحظة رحيل أسطورة المقاومة الفلسطينية يحيى عياش تتكرر مع هذا الصعود الأليم والمباغت والمثقل بالفجيعة لرمز المقاومة الإسلامية في لبنان عماد مغنية، هذا الفارس المكلل بالغار والهيبة والتفرد... المسكون بحرارة الالتصاق بكل أرض دنسها محتل والمتمرد على حدود المكان والزمان.. هذه الأسطورة العتيقة التي وعينا أبجدياتها منذ كنا أطفالاً وظلت تلمع في آفاقنا المدلهمة بالسواد مع كل بارقة انتصار تسطرها سواعد المؤمنين.

أن يترجل هذا الفارس الفذ بعد مسيرة ممتدة في عمق الزمان، وبعد أن يذر جواده صهيلاً في كل جولات النزال، فيستحيل صده شداً وأغنيات تنعش كل ساحات الجذب والظمأً للبنادق السمراء.. أن ينحني عماد واحد من أعمدة ذلك البناء العظيم المجبول بالدم والعطاء والتفاني لحزب الله.. أن تنكسر ركيزة خيمة الجهاد في حد فلسطين الشمالي بعد أن تكون آلاف الأوتاد قد انتصبت أطواداً ومتاريس تصد رماح البغي وتعلن الجنوب أرضاً حراماً على العدو.. أن يجبن المتآمرون على هذا الدم الغالي عن النيل منه إلا غدرًا.. فذلك كله لعمري ربح صافٍ للمقاومة المظفرة يضيف لعمرها آلاف الخطوات ورتلاً من النفوس التائفة للتقدم للميدان، يحركها اشتعال الدم وجلال الارتقاء وهيبة الحدث الكبير.

حق لعماد مغنية أن يستريح اليوم من وعناء السفر الطويل، وأن يرقد مطمئناً في الثرى المطهر من رجس المحتل، وأن يغرب توقد عينيه بعد أن سطر نبضهما فجرًا تحدى القنابل، وسجل في سفر المقاومة جولة انتصار توجت هام حزيه بالفخار، وصبغت حدقات الجنوبيين بالبهاء.

فكم يحتاج أولئك المجرمون ليدركوا أن الطعنة الغادرة لن تنزع فتيل جذوة الإقدام؟ وأن استقالة الجسد الحر من الحياة لن تغيب روحه، ولن توقف دفق بذلها حين يترجمه الباقون إرادة وانتصاراً؟ وهل غاب عن الذين يحتمون ببيت العنكبوت، والمهتزة أوصالهم من نتائج عدوانهم على المقاومة في لبنان معنى أن تسدد لهم قبضات بضع مئات من الرجال صفة غير مسبوقه في تاريخهم؟ وأن تجعل الكيان كله أسير هاجس الزوال؟

قد ينتشي الغاصبون اليوم بكسب جولة، ويشربون أنخاب الاحتفاء بالخلاص ممن طاردتهم سنينا.. وقد تغيب نزع الحقد والشره للانتقام عن عقولهم فهم حقيقة المعاني التي سترتلها الدماء بعد حين، عندما تغدو لعنة تطارد الغادرين في أوكارهم، وتؤسس لعهد آخر من العطاء..

لبنى صهيون أن يطربوا لصنيعهم الغادر للحد الذي يشاؤون، وحسب الواقفين خلف متراس المقاومة أن يطمئنوا لحتمية الوعد الجديد الذي جرى على لسان سيد المقاومة في لبنان.. حسب الذين شيعوا النعش بدموع الأسي ما سيغدقه أثر الرحيل على نفوسهم وفي صفوفهم من توقد دائم..

لسدنة النجمة السداسية في كل البلاد أن يتكثروا على ما شاؤوا من الجدر المتهاوية، ولرفاق عماد وجند المقاومة في كل مكان أن يعتصموا بحبل الله وحده، ثم بفيض الإصرار الذي تصنعه الشهادة وتعبده به طريق روادها، وتجلي به قلوب أنصارها من الوجل على امتداد الخرائط النازقة. ■